دخول مكة كما يصفه المسلمون

رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

(.. أما بعد ، فأنا معشر غزو الموحدين ، لما منّ الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ هـ . بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود ، حماه الله ، الأمان وقد كانوا تواطأوا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله ، أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعدّ الإياب غنيمة ، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف ، ودخلنا شعارنا التلبية آمنين ، محلقين رؤوسنا ومقصرين ، غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين .

ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم ، مضبوطون متأدبون لم يعضدوا به شجرا ، ولم ينفروا صيداً ، ولم يريقوا دماً إلا دم الهدى أو ما أحلّ الله من بهيمة الانعام على الوجه المشروع .

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد ، وعرض الأمير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، وهو : إخلاص التوحيد لله تعالى ، وحده ، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع ، إلا في أمرين .

أحدهما : إخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، ومعرفة أنواع العبادة ، وان الدعاء من جملتها ، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة ، إلى ذلك التوحيد وترك الاشراك ، قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة .

الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي لم يبقَ عندهم إلا اسمه ، وانمحى أثره ورسمه .

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً ، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة ، وقبل منهم وعفا عنهم كافة ، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة . ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلمــــاء ، ويقرر لهم ، حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا ، أدلة ما نحن عليه ، ويطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق.

وعرفناهم بأن صرّح لهم الأمير حال اجتماعهم بأنـّا قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح ، كالخلفــــاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) ، وعن الأئمة الأربعة المجتهدين ، ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ : (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعرّفناهم أنـّا دائرون مع الحق أينما دار ، وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا .

فلم ينقموا علينا أمراً ، فألحينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات ، ان بقي لديهم شبهة ، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين ، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ، ولم يبق عند أحدهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنه الحق الجلي الذي لا غبار عليه ، وحلفوا لنا الايمان المعقدة ، من دون استحلاف لهم ، على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم انه لم يبق لديهم شك في من قال : يا رسول الله أو قال: يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين ، طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه الا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ، ونحو ذلك ، أنه

مشرك الشرك الأكبر الذي يهدر دمه ويبيح ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعاً بهم ومتقرباً لهم لقضاء حاجة من الله بسترهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ، أو يهتف بأهلها في الشدائد ، كما كانت تفعله الجاهلية الاولى .

وكان من جملتهم : مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القلعي ، وحسين المغربي مفتي المالكية ، وعقيل بن يحيى العلوي .

فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم ، والاعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضرر بسببه ، من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى لم يبقَ في البقعة المطهرة طاغوت يُعبَد ، فالحمد لله على ذلك .

ثم رُفِعت المكوس والرسوم ، وكُسرت آلات التنباك ، ونودي بتحريمه ، وأُحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات وعدم التفرق في ذلك ، بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد ، يكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة ، رضوان الله عليهم .

واجتمعت الكلمة حينئذ ، وعبد الله وحده ، وحصلت الالفة ، وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم ، واستتبّ الأمر من دون سفك دم ، ولا هتك عِرض ولا مشقة على أحد ، والحمد لله رب العالمين .

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد — رحمه الله — في التوحيد ، المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة ، مما يثلج الصدور . واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم ، وتدرس في محافلهم ، ويبين لهم العلماء معانيها ، ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثقى ، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه ، وهم على بصيرة آمنين .

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار : حسين بن محمد بن الحسين ، الابريقي الحضرمي ، ثم اللحياني ، ولم يزل يتردد علينا ، ويجتمع بسعود

وخاصته من أهل المعرفة ، ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرّد السيف بسببها مَن دون حياء ولا خجل ، لعدم سابقة جرم له ، فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنَّة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التي هي الطريقة الأسلم والأعلم والأحكم الخ ...

ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب الغير ، كالرافضة والزيدية والإمامية [١] ونحوهم ، ولا نقرّهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة [٢]) .

رواية ابن دحلان :

يقول أحمد بن زيني دحلان أن رجال نجد لم يكونوا يريدون الهجوم على مكة خلال موسم الحج ، حتى لا يشتبكوا في قتال مع الحاج الشامي والمصري، فبقوا في الطائف حتى انقضى الحج وعاد الحجاج الى بلادهم ، فساروا بجيوشهم الى مكة ، واستنجد الشريف غالب بأمراء الحج لمساعدته في قتال الموحدين

---

(١) كتب ناشر الرسالة ، الشيخ محمد رشيد رضا : ان كلمة الرافضة ، التي وضعت لغلاة الشيعة ، تشمل الباطنية دون الزيدية ومعتدلي الامامية .

والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعا على كتب الزيدية في الفقه ، ولو اطلعا عليها لعلما أن فقههم مدون ، وكذلك الامامية ، وأن الفرق بينه وبين فقه الأربعة قليل ، قلما قال أحد مجتهديه قولاً انفرد به وخالف الاجماع قبله ، وكيف وهم يحتجون بالاجماع وبعمل السلف ، وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة..

وقد كان مشايخنا يقولون – كما يقول مشايخ نجد – ان سبب حصر التقليد في فقه الأربعة ، دون سائر مجتهدي الأمة ، هو تدوين مذاهبهم دون غيرها .

وهذا غلط ، سببه عدم الاطلاع !

(٢) أي لا نقر بصفتنا حكام البلاد أصحاب المذاهب غير المضبوطة على أن يظهروا شيئاً من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل ، وبوجود إمام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول .. ومقابل قوله ظاهراً : انهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل .

فرفضوا مدّعين أن المال ينقصهم ، فتعهد لهم بالمال فاعتذروا .. وقالوا نكاتب سعوداً لعله يلين ويهادن..وكاتبوا سعوداً فأجابهم (وأكثر من التهديدات وأظهر لهم أنه في غاية القوة ، ثم أعادوا المراسلة .. فأنذرهم بعدم البقـاء في مكة فوق ثلاثة أيام ..) فسافر أمير الحج الشامي عبد الله باشا العظم،وأمير الحج المصري عثمان بك فرجي ، ثم سافر شريف باشا والي جـــدة .. وبقي الشريف غالب وحيداً .. وأدرك عجزه عن المقاومة ، فهرب هو أيضاً الى جدة .

يجمع ماله ويحرق داره :

ويقول الجبرتي : ان الشريف غالب إنما استبقى أمراء الحج أياماً معدودة في مكة ليستطيع جمع أمواله ونقلها الى جدة ، قبل أن يفاجئه سعود ، وقد حقق غايته ، وأحرق داره في مكة بعد إخلائها ونزل الى جدة .

كتاب الاستسلام وطلب الأمان :

بقي الشريف عبد المعين بن مساعد في مكة ، بعـــد هرب أخيه ، فجمع وجهاء مكة لتذاكر الموقف ، فقرروا الاستسلام ، وهذا ما قاله ابن دحلان :

(عند ذلك أرسل الشريف عبد المعين بن مساعد كتاباً الى سعود مع القائـد حامد بن سليم آغا ، وطلب منه أماناً لجيران بيت الله الحرام ، وأن لا يخفر لسكان مكة ذمام ، وأن يكون هو عامله فيها ، وأن أهل مكة تحت طاعته ، وأرسل أهل مكة رسلاً من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي – منهم محمـــد طاهر سنبل وعبد الحفيظ العجمي ومحمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني– واجتمعوا بسعود بوادي السيل ، على مرحلتين من مكة ، وطلبوا منه الأمان ، فأجابهم :

(إنما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الأصنام والطواغيت ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت) .

فأجابه الشيخ طاهر بقوله : والله ما عبدنا غير الله .

فمدّ لهم يده وقـــال : عاهدتكم على دين الله ورسوله ، وتوالون من والاه وتعادون من عاداه ، والسمع والطاعة .

فعاهدوه على هذا المقال .. وأمر كاتبه أن يكتب كتاب الأمان ، ليحصل لأهل مكة الاطمئنان ، في كاغد لم يزد عن الخمس الأصابع ، وهــذا ما هو مذكور فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز

الى كافة أهل مكة والعلماء والاغوات وقاضي السلطان ،

السلام على من اتبع الهدى ، أما بعــد .. فأنتم في وجه الله ثم وجه أمير المؤمنين سعود بن عبــد العزيز ، وأميركم عبد المعين بن مساعد ، فاستمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله ، والسلام) .

وكان وصول هذا الكتاب يوم الجمعة ٧ محرم ١٢١٨ هـ. فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة وقرأه .

صفة دخول سعود الى مكة :

في ٨ محرم وصل سعود مكة ودخل مُحرِماً فطاف وسعى ونحر الإبل ، ثم صعد بستان الشريف الذي في المحصب .

وفي اليوم الثاني نادى مناديه بأن سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غداً ضحوة النهار ، فاجتمعت النــاس على صفاتها ، وحضر الشريف عبد المعين ومَن بمكة من الأشراف والقاضي ومفتي مكة الشيخ عبدالله القلعي وبقية المفاتي العلماء ، وما زالت الناس في اجتماع وائتلاف ، وسعود في المطاف ، ثم أقبل وصعد بأعلى درج الصفا ، والناس ينظرون له ويسمعون قوله ، فأخذ المفتي عن يمينه ، والقاضي عن شماله ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبــده وأعزّ جنده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، والحمد لله الذي صدقنا وعده ..

ثم قال :

يا أهل مكة ، أنتم جيران بيته ، آمنون بأمنه وسكن حرمه ، وأنتم في خير

بقمة ، اعلموا ان مكة حرام ما فيها ، لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها ، وإنما أحلت ساعة من نهار .

وإنا كنا من أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هـذا الدين دعونا اليه وكلٌ يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ، ولم نزل ندعو الى الإسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل إنمـا أسلموا بهذا السيف – ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص والعام – وقد كنت في هـذا العام غازياً نحو العراق ، فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف، وأقبلوا عليكم يغزونكم خفتُ عليكم من العربان والبادية، فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وأنقذكم من الشرك ، وأنا أدعوكم أن تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه ، وأطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة) .

ثم جلس ، ومدّ يده ، فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين، ثم المفتي فالقاضي فبقية الناس ، فلما تمّت المبايعة ركب فرسه وصعد إلى المحسب ، وقال قبل ركوبه :

يا أهل مكة ، انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام، بين الركن والمقام، لأبين لكم الدين وشرائط الإسلام .

فلما كان العصر اجتمعوا ،فجاء وصعد المقام الذي على ظهر زمزم ،والمفاتي معه . .

وهنـا يذكر ابن دحلان – وهو خصم – كلاماً غير لائق ، خلاصته ان ما قاله سعود يعرفه حتى جهـلاء أهل مكة ، وان سعوداً طلب من أهل مكة في نهاية كلامه أن يطلعوا للقبب ويهدموها ويطرحوا الأصنام ويرموهـا حتى لا يكون معبود غير الله .

فقالوا : سمعاً وطاعة ، فـما أصبح الصباح إلا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب ، فبادر الوهابيون ، ومعهم كثير من الناس ، لهدم القبب .. فهدموا ما في المعلى من القبب ...

وفي اليوم السادس من أيام إقامته نادى مناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة

في المسجد الحرام، فكان يصلي الصبح الشافعي، والظهر المالكي، والعصر الحنبلي، والمغرب الحنفي .

ثم طلب قبائل العرب التي حول مكة، فبايعوه وأخذ منهم شيئاً من المال.

ووضع في قلعة مكة مائتين من بيشة، وجعل أميراً عليهم فهيد بن شكبان.

ومدة إقامته بمكة أربعة عشر يوماً .

رواية الجبرتي :

في صفر سنة ١٢١٨ هـ . حضر (إلى القاهرة) الشريف عبد الله بن سرور ، وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفراً ، وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج ، وأن عبد العزيز الوهابي دخل إلى مكة من غير حرب ، وولى الشريف عبد المعين أميراً على مكة والشيخ عقيل قاضياً ، وأنه هدم زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة ، وذلك بعد أن عقد مجلساً بالحرم وباحثهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة ، وأخبروا أن الشريف غالب وشريف باشا ذهبا إلى جدة وتحصنا بها وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة .

... وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروباً من الوهابي ، ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجياً ... وهم المكيون ومن تابعهم وصدّق أقوالهم ... ومنهم من يقول بخلاف ذلك ، لخلو غرضه .

وأرسل إليّ شيخ الركب المغربي كتاباً،ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وصورتها ...

الدعوة الاسلامية السلفية :

وقد نقل الجبرتي في تاريخه نص رسالة أمر الإمام سعود بتوزيعها وتعميمها ، وهي واحدة من رسائل كثيرة كتبها الإمام سعود ورؤساء الدعوة وبينوا فيها

العقيدة الإسلامية التي يدينون بها والتي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذا نص الرسالة كما وردت في تاريخ الجبرتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً وعبده ورسوله . من يُطِع الله ورسوله فقد رشد، ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد غوى ولا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف .

وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلاً ما تذكرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

والرسول ﷺ قد أخبرنا بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال (لتتبعن سنن من

كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن) ؟!

وأخبر في الحديث الآخر أن أُمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي !

إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء ، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات !

وكذلك التقرب اليهم بالنذور ، وذبح القربان ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ .

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء الصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ، ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .

فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسايط يسألهم الشفاعة ، فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى : ﴿ مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ ،

وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ فإن فعلت ذلك فإنك إذن من الظالمين .

فاذا كان الرسول ﷺ ، وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، لا يشفع ابتداءً ، بل يأتي فيخرُّ لله ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ، ثم يقال : إرفع رأسك وسلْ تُعطَ واشفع تُشفع ! ثم يحدّ له حداً فيدخلهم الجنة !

فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم .

وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور ، التي أخبر بها النبي ﷺ امته وحذّر منها ، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : (لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان) . وهو ﷺ حمى ضباب التوحيد أعظم حماية وسدّ كل طريق يؤدي الى الشرك ، فنهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء : يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا هو الذي أوجب الإختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا ، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا

بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه ، بعد ما نقيم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح من الأمة ، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النـــاس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع وإيتـــاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، كما قال تعـــالى : ﴿ الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به ، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له مـا لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد ﷺ المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة ، لا يضيرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .)

رأي الجبرتي :

ويقول الجبرتي ، بعد إيراده لنص الرسالة ، ما يلي :

أقول : إن كان كذلك ، فهذا ما ندين الله به نحن أيضاً ! وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين والمتعصبين ؟

وقــد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان) ، والحافظ المقريزي في (تجريد التوحيد) ، والإمام اليبوسى في شرح الكبرى ، وشرح الحكم لابن عيـــاد ، وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصايد الشيطان ، وغير ذلك .